متى ظهرت فلسفة الدين كعلم متميز؟

إننا نؤكد مع العديد من الباحثين على أن نقطة البدء الأساسية في فلسفة الدين تعود إلى ما طرحه سؤال كانط الرشيق: «ماذا يحق لي أن أرجو؟» سنة ١٧٩٠م في مؤلفه الشهير «نقد ملكة الحكم.» ذلك السؤال الذي أسس ورسم جل ملامح ميدان السؤال الفلسفي عن معنى الدين في أفق المعاصرين لينطلق كانط من هذا السؤال في هذا المؤلف الذي خصصه لفلسفة الفن والجمال ليفرد مؤلفه التالي «الدين في حدود العقل وحده» والذي كتبه في عام ١٧٩٣م ليقدم تفسيرات عقلانية نقدية للدين بشكل كلي، من منظور العقل.

وإن كانت هناك رؤى جديرة بالاعتبار ترى أن أول درس ألقاه كانط في «فلسفة الدين» كان بين عامي ١٧٨٣و ،١٧٨٤وكان مضمون هذه الدروس قد ضمنها في مخطوط بعنوان «دروس في نظرية الدين الفلسفية،» ذلك المخطوط الذي لم ير النور إلا بعد وفاة كانط بثلاثة عشر عاما، أي في عام ١٨١٧.

لكن ما زال هذا الموضوع يحتاج إلى بحث دقيق وجاد لحسمه.الفصل الثالث: مفهوم فلسفة الدين ٦٧ النظري والعقل العملي. ويخضع فيه المعتقدات الدينية، والعلاقة بين الإنسان والله كما يقدمها الدين، للبحث الفلسفي المستفيض، محك ما المعايير العقلية وحدها.

هذا عن مضمون «فلسفة الدين،» والجدير بالذكر أن المضمون قد ظهر قبل المصطلح نفسه، إذ إن مصطلح «فلسفة الدين» لم يظهر إل في بداية القرن التاسع عشر، حيث بدأ شيوعه واستخدامه للدلالة على مجال فلسفي مستقل ومنفصل، ويرجع الفضل في هذا ـ إلى حد كبير ـ إلى الفيلسوف الألماني هيجل في كتابه «محاضرات في فلسفة الدين» الذي نشر في عام ١٨٣٢م ، ولكنه ألقي قبل النشر على هيئة محاضرات ألقاها هيجل على طلابه في الفترة ما بين ١٨٢١م

إلى ١٨٣١م، وهي سنة وفاته. ثم بدأت بعد ذلك تتوالى العناوين المختلفة حيث أصدر «ج. كيرد ١٨٣٥(«J. E. Caird ـ)١٩٠٨كتاب «مدخل إلى فلسفة الدين» سنة ١٨٨٠م وبعده بعامين ظهر كتاب لوتزة ١٨١٧(R. H. Lotze ـ«)١٩٠٠فلسفة الدين،» وهو كما يقول محمد عثمان الخشت: «كتاب صغير الحجم لكنه غني المضمون، ومارس تأثير ا كبير ا على عدد من فلاسفة الدين في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، مثل الهيجليين الجدد: بوزانكويت ١٨٤٨(B. Bosanquet ـ) ١٩٢٣وروييس، والفلاسفة الأقل تأثرا بهيجل، مثل: بون، ولد ١٨٤٢(G. T. Ladd ـ)١(«)١٩٢١

وفي عام ١٨٨٨م ظهر كتاب إدوارد فون هارتمان .E. V 1842(Hartmann ـ)١٩٠٦بعنوان «فلسفة الدين» الذي نجده يتردبشكل مستمر عند فلاسفة الدين في القرن العشرين، حيث شهد هذا القرن دراسات بحثية عديدة حملت عناوينها مصطلح «فلسفة الدين،» فمع بداية القرن العشرين ظهر كتاب

الفيلسوف الدانماركي هوفدنج ١٨٤٣(H. Hoffding ـ)١٩٣١عن «فلسفة الدين،» والذي رفض فيه مؤلفه العتقاد في شخصانية الله، كما رفض العتقاد في الخلود الشخصي، فأحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في الأوساط الأوربية الدينية والثقافية، مما جعله هدفا للمترجمين ودور النشر في شتى بقاع العالم.

وفي هذا الإطار شهد القرن العشرون عشرات المؤلفات للعديد من الفلاسفة المشهورين التي حملت عناوينها بصورة مباشرة اسم فلسفة الدين ككتاب إدجار شيقلد برايتمان «فلسفة الدين،» وكتاب «ج. ت. لد» «فلسفة الدين،» وكتاب جون هيك « Hick .Jفلسفة الدين.» أو كتلك التي تبحث في مجال فلسفة الدين بالمعنى الدقيق وإن لم تحمل عناوينها مصطلح فلسفة الدين بشكل مباشر، من أمثال مؤلفات: وليم جيمس «تنوعات الخبرة الدينية،» «إرادة العتقاد،» وجوزايا رويس «العالم والفرد» و«الجانب الديني للفلسفة» و«مشكلة المسيحية» و«مفهوم الله» و«مصادر البصيرة الدينية،» وجورج سنتيانا ١٨٦٣(G. Santayana ـ «( )١٩٥٢العقل في الدين،» وهوكنج «(Hockingمعنى الله في الخبرات الدينية،» ورودلف أوتو «(R. Ottoفكرة المقدس،» وجيمس جويس«(Joyce .Jمبادئ اللاهوت الطبيعي،» ووايتهد «الدين في تكونه،» وبرجسون «منبعا الأخلاق والدين،» وروزنبرج «(Rosenbergأسطورة القرن العشرين،» وكنودسون ١٨٧٣(A. C. Knudson ـ«( )١٩٥٣نظرية الله،» وكالفرتون «زوال الآلهة،» وآير ١٩١١(A. Ayer ـ«( )١٩٨٩اللغة والصدق الفصل الثالث: مفهوم فلسفة الدين ٦٩ والمنطق،» وبيكسلر «دين من أجل العقول الحرة،» وجرهام وارد «(G.Wardإله ما بعد الحداثة...)» وغيرها من المؤلفات التي يصعب حصرها والتي ظهرت خلال القرن الماضي.

وقد شهدت «فلسفة الدين» تطورا هائلا في الفلسفة المعاصرة، فقد ظهر جيل من الفلاسفة ما بعد المثاليين، وما بعد التنويريين، لم يعد يرى في السؤال عن «جوهر الدين» أو«ماهية الله» أمرا جديرا بالثناء الفلسفي. بل أكثر من ذلك، لقد كف مفهوم «الله» عن جذب الفلاسفة إلى بناء نظرية فلسفي ة في الدين، وتحو ل إلى تحد ميتافيزيقي قلق وفظيع ل حل له داخل تقاليد التفلسف السابقة()١ ولذلك يمكننا التمييز بين نوعين لفلسفة الدين في العصر الراهن، الأولى تقوم على التأويل والتفسير وإعادة القراءة، والثانية تقوم على التحليل اللغوي، كتلك التي افتتحتها كلمات لودفيج فتجنشتاين في كتابه الشهير «رسالة منطقية فلسفية» المنشور عام ١٩٢٢،عن معنى التصوف بل إله ديني! ومن ثم بدأت «فلسفة الدين» في العصر الراهن تتناول أسئلة جديدة ومختلفة إلى حد ما عن تلك الأسئلة الكلاسيكية عن: ماهية الله، وحقيقة الوحي والنبوات، والمعجزات، والمعاد، ومشكلة الشر وغيرها، وإن كانت في الحقيقة تدور في مداراتها البعيدة. ومن أشهر هذه الأسئلة التي اتجهت إليها «فلسفة الدين» في العصر الراهن، وأشار إليها أحد الباحثين هل يوجد إله محايد تجاه مستقبلنا؟

وهل ثمة تأله من دون تدين؟ هل ثمة إيمان لائكي؟ كيف يكون نبي بلا إله ووحي؟ لماذا في النهاية لم يمت إل الإله الأخلاقي؟ هل تعني العلمنة حقا نزع السحر عن العالم؟ أو انسحاب الآلهة؟ أوتحول المقدس إلى جهاز لغوي دنيوي تحت التصرف؟... ولا يعني ذلك أن الأسئلة الكلاسيكية قد تم تجاهلها في إطار «فلسفة الدين» في العصر المعاصر، بل أنها تبقى موجودة على الدوام في فلسفة الدين كلما بقيت في ذهن الإنسان العادي الذي تشغله أسئلة من قبيل: من أين وجد هذا العالم؟ ومن أوجده؟ وهل هو عالم أبدي أم له نهاية؟ وإذا كان العالم مخلوقا لله، فما طبيعة هذا الله الخالق؟ وما صفاته؟ وكيف خلق هذا العالم؟ وإذا كان الله موجود ا، وكانت هناك حياة بعد الموت، فعلى أي كيفية ستكون هذه

الحياة؟ وما هي معايير النجاة في هذه الحياة الأخروية؟ وإذا كان لزام ا على الأخيار تجنب الشر في هذا العالم. فمن أين جاء الشر؟

ومن ثم يمكننا القول مع أحد الباحثين إن مصطلح «فلسفة الدين» تعبير قد يُستدل به على أمور ثلاثة:

أولا: فلسفة الدين يمكن أن تشير إلى السعي لا ستخراج رؤية فلسفية أو توجه فلسفي تكمن عناصره الأساسية أو بذوره المثمرة في تضاعيف الدين عينه.

ثانيا: فلسفة الدين يمكن أن تدل أيضا على محاولة تغيير طبيعة الدين برمته وجعله في ذاته فلسفة مستقلة.

ثالثا: فلسفة الدين يمكن أخيرا أن تعني حصرا التفكير الفلسفي في واقع الدين وهو الأمر الذي تعتمده هذه الدراسة ومعظم الدراسات الأكاديمية حتى الآن.